عندما يأخذ الملك الأردني راحته في الحديث مع الصهاينة

أسعد أبو خليل*

(إلى أخي الراحل، ماهر، الذي علّمني وأنا في سن العاشرة نشيد: «يا حسين يا ابنَ زين، لا تظنّ الشعب مات. سوف يأتي اليوم يومك وترى المُلك حطام». للأسف، لم ير الملك حسين ملكه حطاماً. لعل ذلك يكون من نصيب ابنه).

زعماء الممالك والمشايخ والإمارات والإقطاعات في بلادنا مصابون بعقد دفينة في إرضاء الرجل الأبيض وفي تقليد المُحتلّ. لا يمرّ موظف ولو صغير من أي وزارة أميركية إلا ويحظى بوليمة في واحد من قصرَيْ وليد جنبلاط (وقد بناهما بعرق الاشتراكية والتقدمية، بالطبع). من يتصوّر أنّ جنبلاط هذا يمكن أن يولم لمسؤول في دولة أفريقية يوماً ما؟ قد يكون في الأمر إحراج عند مرور عبيد القصر أمامه. وميشال سليمان (مُتلقّي «النعم» والبركات القطرية والسعودية على أنواعها) يصحو من النوم في عمشيت على عجل لو سمع أن موظفاً في وزارة الخارجية الأميركية مرّ في لبنان ولو عابراً. وسعد الحريري ذهب إلى أميركا بعد اغتيال والده كي يحظى بلقاء مع ديك تشيني الذي أراد أن يعزّيه بوفاة الغالي (عنده هو).

الملك حسين كان ضعيفاً جداً أمام الرجل الأبيض. كيف لا وقد أنشأ المُستعمر لجدّه مملكة من عدم؟ كيف لا وحكم سلالته عطيّة من الاستعمار تقديراً للطاعة والذلّ؟ كيف لا والملك حسين نفسه لم يدم في الحكم إلا بإرادة مُستعمره والحاكم بأمر غيره؟ الملك حسين كان يجد لذّة ما بعدها لذّة في الحديث باللغة الإنكليزية (مثلما يتصنّع فؤاد السنيورة اللكنة البريطانية في الإنكليزية وبطريقة مضحكة) والظهور بمظهر الحاكم اللبق والدمث، فيما كانت تعلّق أجساد المناضلين الفلسطينيّين في أقبية استخباراته مثل الفراريج كي يسهل تعذيبها. الملك حسين كان يكذّب دوريّاً عن أخبار لقاءاته مع الإسرائيليّين والصهاينة عبر السنوات والعقود، فيما كان ينتظر توقيع أوّل دولة عربيّة مع العدوّ الإسرائيلي كي يهرول بعدها (لم يجرؤ على فعل السبق خوفاً على تاجه الذي رزح رأسه تحته مهتزّاً على قوله هو في كتاب له بالإنكليزيّة _ كُتب له _ مُستشهداً بشكسبير). كان الملك حسين يستدعي المؤرّخ البريطاني الإسرائيلي، آفي شلايم، من جامعة أكسفورد ليدوّن ذكرياته عن لقاءاته الكثيرة مع الإسرائيليّين عبر السنوات. وشلايم، الذي يعتبره (غيري) يسارياً مُعارضاً لإسرائيل (مع أنه كان في حرس الحدود الذين كانوا يصطادون المدنيّين من الشعب الفلسطيني العائدين (غير المتسلّلين) إلى فلسطين لتفقّد بياراتهم ومنازلهم مثل صيد البجع) نشر كتاباً كبيراً عن الملك حسين جعل منه غضنفر عصره.

أما الملك الجديد، عبد الله، فقصته قصة أخرى (وهو ملك الصدفة، إذ إن الملكة إليزابيت غيّرت مسار السلالة الحاكمة في نزوة عائليّة لم نعرف بعد تفاصيلها. المهم أن زوجة وليّ العهد السابق التي كانت تقيس النوافذ من أجل حياكة ستائر جديدة _ على ما يقول مثل أجنبي _ لم يتسنّ لها ولزوجها الحكم ربما بسبب استعجال الوراثة). وصل تاج الحكم إلى الابن البكر الشغوف بالسيّارات والدراجات النارية وألعاب الكومبيوتر والفيديو (يذكّرنا بولد آخر غير نجيب من آل الحريري). الإعلام الغربي الذي يغرم بكل أصدقاء إسرائيل من العرب وينصّبهم حكماء وخبراء في شأن «العقل العربي» روّج إلى آخر رمقه للملك حسين. وعندما وقع الاختيار العائلي على عبد الله لم يشر إلى أن أباه _ على طريقة الطغاة الجمهوريّين _ أنشأ جيشاً خاصّاً لولده ونصّبه قائداً عليه. (ننسى أن الطغاة العرب من الملوك يقلّدون في أشياء كثيرة الطغاة الجمهوريّين، مثلما يقلّد الطغاة الجمهوريّون الطغاة الملكيّين في أشياء كثيرة). «القوّات الخاصّة» الأردنية ما هي إلا جهاز قمعي أميركي تستخدمه أميركا وإسرائيل في حروبهما. ظنّ الملك الصغير أن خبر وجود قوّاته الخاصّة في أفغانستان سيبقى طيّ الكتمان.

وتوالت المقابلات التلفزيونيّة والصحافيّة مع الملك الجديد. ويُفاجأ القارئ (أو القارئة) في العالم العربي بكيفيّة إظهار الملك الأردني لنفسه في الإعلام الغربي. فهذا الملك، ولا دور سياسيّاً له في العالم العربي إذ إنه يكتفي بتنفيذ أوامر إسرائيل وأميركا بصمت كبير، يتبجّح بالإنكليزيّة. وهو بالكاد يتحدّث للإعلام العربي، على حسن تلقّيه للدروس الخصوصيّة في اللغة العربيّة، مقارنة بتلك الدروس التي لم يعلق منها شيء في ذهن سعد الحريري، مثلاً. لا أحد في الإعلام أو المجتمع العربي يتحدّث عن الملك الأردني.

> يصدق الملك الصورة التي يصنعها له الصهاينة: زعيم الشباب العربي ورمز الديموقراطية

في مقابلاته العربيّة القليلة، يظهر خجولاً متحفّظاً غير واثق من نفسه لعلمه بتدنّي موقعه السياسي بين العرب. لا يتحدّث، بل يعدّ مكتبه الصحافي إجابات مكتوبة عن أسئلة مكتوبة كي لا يبدو على حقيقته. كان لوالده حضور أكيد (وضارّ ومشبوه ومتآمر _ تطربني الكلمة الأخيرة لعلمي بما تحدثه من إزعاج في أسماع ليبراليّي آل سعود وآل ثاني) في السياسة العربيّة على مرّ العقود. لكن هذا الملك لا يظهر إلا بأمر، وهو يحتفي بنفسه عندما يُدعى إلى منتديات «دافوس» عندما يقول للرجل الأبيض المُنبهر: أنا أتحدّث الإنكليزيّة بطلاقة وزوجتي ترتدي آخر صيحات الموضة في الغرب. أما جمهور الرجل الأبيض في الغرب فيردّ التحيّة بأحسن منها ويهتف بصوت واحد: أوّاه، ثم أوّاه. وهو يحاول إدخال مصطلحات جديدة (تأتي من عقول مستشاريه الغربيّين) من أجل أن يحظى باهتمام إعلام الغرب. وقد سُرّ بمصطلح «الهلال الشيعي» فاستحدث _ أو استُحدث له _ أخيراً مصطلح «هلال الإخوان». يجهد كي يبدو كمفكّر استراتيجي. من يدري؟ قد يطلع علينا قريباً بمصطلح هلال البطاطا.

أما في الإعلام الغربي، فصاحبكم يأخذ راحته في الحديث ويتحوّل إلى صنديد. في مقابلة أولى له بعد تبوّئه العرش، استفاض في مقابلة مع مجلّة «نيويورك تايمز» عن بطولاته في «الجيش الأردني». وقال في تلك المقابلة إن هناك «جهات» في الجيش الأردني لم ترتح لوجوده، وحاولت أن تمتحن رجولته. وقال عبد الله هذا، المتأثّر دون شك بأفلام «الأكشن»، إنه لم يتحمّل المضايقات، فما كان منه إلا أن شهر مسدّسه الحربي (ما الفارق بين المسدّس الحربي والمسدّس غير الحربي؟ وهل هناك مسدّس سلمي، مثلاً) بوجه أعدائه في داخل الجيش، أي جيش البابا حسين. عليك أن تصدّق أن عبد الله تعرّض لمضايقات واستفزازات في جيش البابا الذي يشكّل عماد النظام الطاغي.

وفي هذا السياق، سمح عبد الله للصحافي الأميركي _ الإسرائيلي، جيفري غولدبرغ، بالتجول معه في الأردن لكتابة موضوع صحافي. وغولدبرغ هذا أميركي تطوّع في جيش العدوّ الإسرائيلي وخدم في الأراضي التي احتلّت عام 1967. والهاشميّون يضعفون، على طريقة مؤسّس سلالتهم الحاكمة في الأردن، أمام أي مندوب إسرائيلي. لا يمكن أن نتصوّر أن عبد الله كان يمكن أن يسمح لصحافي أردني بالاقتراب منه كما سمح لغولدبرغ هذا (كنتُ قد أطلقت عليه قبل سنوات صفة «أسوأ صحافي يكتب عن الشرق الأوسط»، ما استدعى ردّاً منه ودخلنا في سجال أيّاماً). ولكن يبدو أن الملك أخذ راحته أكثر من اللزوم.

الأخ الأكبر واغتيال الأوطان

زهير أندراوس*

(أنا لا أوافق على ما تقول، لكنّي سأقف حتى الموت مدافعاً عن حقّك في أنْ تقول ما تريد. تشي غيفارا)

من المفارقات الطبيعيّة في زمن الذلّ والهوان العربيين، أنّ دويلة مثل قطر، تمكنت بفضل المال من مصادرة الجامعة العربية، والاستحواذ على قراراتها وتحويلها إلى جامعة التآمر على أمّة الناطقين بالضاد، فضلاً عن أنّ هذه المشيخة باتت محمية أميركية، ترقص على موسيقى النشاز التي يعزفها البيت الأبيض، وتُقيم علاقات وطيدة مع دولة الاحتلال الصهيونية، فبعدما كانت إسرائيل تُنعت بالكيان الغاصب، باتت دولة مرغوب فيها جداً في العديد من الدول العربية. وأصبح أقطابها يحجّون إلى الدوحة سراً وعلانيّة، مضافاً إلى استضافتهم في البوق الإعلاميّ التابع للأمير، أيْ فضائية (الجزيرة)، التي لم تألُ جُهداً منذ اندلاع الأزمة السوريّة في تأليب الرأي العام العربيّ على النظام السوريّ. وهذه المهمة التي أنيطت بالفضائيّة القطريّة سببت بتأجيج الصراع الدائر داخل سوريا بين النظام الحاكم وبين المسلحين الوافدين من كلّ حدبٍ وصوبٍ بهدف تفتيت الدولة وتمزيق النسيج الاجتماعيّ، وبين هذا وذاك، إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد، هذا النظام الذي لم يعترف حتى كتابة هذه السطور بالدولة العبرية.

■ ■ ■

فضائية «الجزيرة» باتت لاعباً مركزياً في المؤامرة على سوريا، ولا نبالغ إذا جزمنا بأنّ فضائية الشيخ حمد، ربّما أصبحت من أهم وأخطر اللاعبين في المؤامرة. ذلك أنّها منذ اندلاع الأزمة السوريّة وهي تقوم بعملية غسل دماغ للعقل العربيّ، وذلك على مدار الساعة، مستعينةً بأنّها كانت في الماضي غير البعيد، قبل انكشاف أمرها، وسيلة إعلام تُوحي للمشاهد العاديّ بأنّها تحمل آلام وآمال الأمّة العربيّة. فبعدما كانت إلى حدٍ ما ذخراً على الناطقين بالضاد، تحوّلت إلى عبءٍ، ومن ثم إلى خصم، وفق كلّ المعايير والمقاييس المهنية والإعلامية والسياسية والأخلاقية. وخاضت المعركة ضدّ آخر معقلٍ نابضٍ للعروبة في ظلّ عدم تكافؤ واضح في القوّة، ذلك أنّ الإعلام السوريّ على مختلف مشاربه، هو إعلام تقليديّ، إنْ لم يكن أقّل من ذلك، ولا يزال يُعاني من مشاكل عديدة تجعل تسويق الرواية السورية الحقيقية من رابع المستحيلات. علاوة على ذلك، فإنّ الإعلام العربي بسواده الأعظم، أصبح مأجوراً لمصلحة أعداء الأمّة. وبات يُروّج لما يُطلقون عليها الثورة السورية، الأمر الذي حوّل بعض وسائل الإعلام العربيّة، التي واصلت الحفاظ على ماء الوجه، إلى

> الإعلام السوري على مختلف مشاربه هو إعلام تقليدي إن لم يكن أقل من ذلك

مجرّد طيور تُغرّد خارج السرب. وفي هذا السياق لا بدّ، وللأسف الشديد، من الاستعانة بوزير الإعلام النازيّ جوزيف غوبلز ومقولته الشهيرة، ولكن ليست المأثورة: «أعطِني إعلاماً بلا ضمير، أُعطك شعباً بلا وعي». وبعيداً عن غوبلز، فإنّ المخطط الإمبريالي _ الصهيوني، الذي يعكف على إخراجه إلى حيّز التنفيذ، وكلاء هاتين الحركتين في الوطن العربيّ، لم يعُد يكتف باستباحة الوطن العربيّ، بل إنّ هدفه يكمن أيضاً في احتلال العقول العربية وكيّ وعيها تماماً. وهذا ما يجعل دور الإعلام العربيّ المعادي لسوريا موازياً لدور الإعلام الإسرائيلي والغربي في شيطنة النظام السوري وتحويله إلى ألدّ أعداء الأمة العربية. والأمر أصبح أكثر خطورة في زمن العولمة، التي حوّلت العالم إلى قريةٍ صغيرةٍ، بحيث إنّ دور الإعلام الهدّام بات أكثر هدماً واقترب بخطى حثيثة إلى التدمير الكلي لكلّ ما يمُت للعرب بصلةٍ. ذلك أنّ العقل البشريّ، هكذا على الأقّل تعلمت خلال دراستي لموضوع الصحافة في إيطاليا، هو مثل الزجاجة، باستطاعتها أن تمتلئ، وبعد ذلك تبدأ بردّ الماء الذي تريد أنْ تزيده، أيْ أنّ العقل البشريّ لا يُمكنه أنْ يتحمّل فوق طاقته وقدراته. وفي المحصلة النهائيّة، نُقرّ بأنّ «الجزيرة» وأخواتها تمكّنت من السيطرة على العقل العربيّ، مثلما سيطرت الإمارة القطرية على الجامعة العربية.

■ ■ ■

بشكلٍ أوْ بآخر، تبنّت «الجزيرة» الفلسفة السفسطائيّة، التي ظهرت في اليونان في عام 450 قبل الميلاد. والسفسطة هي حب الجدل أو الجدل لمجرّد الجدل وليس للاقتناع بفكرة أو مبدأ، بل رغبة في التضليل. والسفسطائيّ هو الشخص الذي يُجادل ويُضلل كل شيء وكل حقيقة، علاوة على ذلك، سفسطائيّ كانت تُستعمَل في بداية الأمر للدلالة على صاحب مهنة الكلام، ولم تكن تُستعمَل بمفهومها المنتقص الذي أضحى شائعاً في ما بعد، ومن الأهمية بمكان التفريق بين السفسطة والمغالطة، ذلك أنّ المغالطة لإرادية، بينما في السفسطة توجد رغبة إراديّة للتضليل، وكان الفضل للفيلسوف سقراط الذي أسس وبنى فلسفة المعرفة، فقد رأى هذا الفيلسوف أنّ أخلاق عصره تنهار أمام دجل السفسطائيين الذين أنكروا العقل، والحق، واليقين، وفضائل الأخلاق، بما زعموا من ردّ أصول المعرفة كلها إلى الإحساس، فأراد أن يردّ أصول المعرفة إلى

الأخبار
تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»
رئيس التحرير المؤسس: جوزف سماحة (2007-2006)
مستشار مجلس التحرير: انسي الحاج
رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: إبراهيم الأمين

نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب ■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليق ■ مجتمع: مهى زراقط ■ عالم: حسام كنفاني ■ ثقافة وناس: أمل الأندري
المدير الفني: إميل منعم
رئيس مجلس الادارة ابراهيم الأمين ■ الادارة المالية: فادي خليك
الموارد البشرية: ريما اسماعيل
المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 113/5963
www.al-akhbar.com
الاعلانات Tree Ad 611115 / 01 ـ 252224 / 03
التوزيع شركة الأوائل 15ـ666314 / 01 ـ 828381 / 03